في التاريخ الشعري

وتواريخ المنسنيور يوسف العلم

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

اطّلعنا على جملة تواريخ شعريّة نظمها سيادة المنسنيور يوسف العلم فسبكها سبكاً حسناً بلا تعسُّف ولا تكلُّف واودعها معاني لطيفة مبتكرة فرأينا ان ننشرها لقرّائنا الكرام تفكيهاً لألبابهم وشحذاً لقرائحهم . ونقدّم عليها فصلاً وجيزاً في التاريخ واصلهِ وشروطهِ زيادةً في الافادة فنقول :

﴿ تعريف فن التاريخ الشعري ﴾ معلوم انَّ ترتيب حروف الهجاء كما هو اليوم في العربيّة مستحدث اماَّ ترتيبها الاصلي فباقٍ في اللغات الساميّة القديمة كالفينيقيّة والعبرانيّة والسريانيّة لا بل في اللغات الهندوجرمانيّة كاليونانيّة واللاتينيّة . يوافقهُ في العربيّة ترتيب الابجديّة

ثم ان في تلك اللغات لا تفيد حروفُ الهجاء تركيبَ الألفاظ فقط بل تُتّخذ ايضاً للارقام الحسابيّة منها افراد « ابجد هوز حطّي » ومنها عقود « كلمن سعفص » ومنها مئات من المئة الواحدة الى المئة الرابعة « قرشت » . وكذلك الابجديّة فانَّ العرب طالما استعملوها بصفة اعداد . ولمّا كانت حروف لغتهم تزيد على لغات اولئك ستّة حروف اردفوها بالابجد فركّبوا منها كلمتين دعوهما الروادف « ثخذ ضظغ » عدُّوا بهما المئات الى الألف وهذا الحساب يُدعى عندهم الجُمَّل اي حساب حروف الهجاء . وهو قديم جدًّا كما ترى في مخطوطات ترقى الى القرن الثالث للهجرة . وهذا الحساب كان شائعاً بين العرب في اوائل الاسلام الى ان استبدلوهُ بالارقام الهنديّة

الّا ان العرب لم يكتفوا باتخاذ حروف الهجاء كارقام حسابيّة وانّما ركّبوا حروف الجُمَّل تركيباً دقيقاً يُستفاد منهُ معنًى فضلاً عن التاريخ الحسابيّ وقد دعوا ذلك بالتاريخ الحرفيّ وعرّفوهُ بقولهم انهُ « هو ما دلَّ على ابتداء زمن بطريق جمل حروف معدودة او ما في معناها » . ثم ادخلوهُ في شعرهم فجعلوهُ فنًّا قائماً بذاتهِ دعوهُ التاريخ الشعري ونظموهُ في انواع البديع

﴿ اصلهُ ﴾ لم يعرف الزمان الذي جعل فيهِ العرب يتَّخذون الألفاظ كدلالة على تاريخ معلوم. قال الابياريّ في سعود المطالع (٢ : ٢٦٤) : « قد رأيتُ في بعض التواريخ ما يقتضي انهُ كان مستعملًا في الجاهليَّة الاولى عند شعرائها » لكنَّهُ لم يأتِ على ذلك بشاهدٍ يؤيد قولهُ. واقدم ما وجدنا في ذلك ابيات ذكرها عماد الكاتب في الخريدة لابي عبد الله سعد الدين الحسين الشهير بابن شبيب قالها في المستنجد بالله لمَّا تولَّى الخلافة سنة ٥٥٤ (١١٥٩ م) وختمها بتاريخٍ فقال

اصبحت « لبَّ » بني العباس كلهمِ ان عُدّلت بحروف الجُمَّل الخُلَفا

اراد انَّ المستنجد هو الثاني والثلاثون من الخلفاء العبَّاسيين وانَّ هذا العدد متضمّن في جُمَّل « لبّ »

ثم انتشر هذا الفنّ وشاع بين الشعراء وتقرَّرت شروطهُ وتعيَّنت انواعهُ. حتى انهُ لم يَخلُ في القرون المتأخرة امر ذو بال دون ان ينظم لهُ بعض الشعراء تاريخًا

واوَّل من نظم التاريخ في انواع البديع الشيخ عبد الغني النابلسيّ فظنَّ البعض انهُ هو مخترعهُ. وليس الامر كذلك لانَّ للشعراء ابياتًا تاريخيَّة عديدة قبل عهدهِ. وقد اقرَّ هو بنفسهِ صريحًا انهُ ليس هو مخترعهُ حيث قال في شرح بديعيَّتهِ المعروفة بنفحات الازهار (ص ٤٩٥) : « هو (اي التاريخ) نوعٌ اخترعهُ المتأخرون ولهم فيهِ العجب العجاب وقد ادرجتهُ في فنون البديع لعلوّ مراتبه وسموّ مناقبهِ ولطافة مسلكهِ وطلوع شمس البلاغة في اوج فلكهِ » ثم عرَّفهُ بان قال : « هو عبارة عن ان يأتي الشاعر او المتكلم بكلمة او كلمات اذا حُسبت حروفها بحساب الجمَّل بلغت عدد السنة التي يريد المكلَّم من تاريخ الهجرة » وكذا قل عن تاريخ النصرانيَّة وعرَّفهُ آخر بقوله « هو ان يأتي بعبارة تشير الى جمع جمل حروف بطريق صحيحة الاوضاع مقبولة عند الطباع »

﴿ شروطهُ ﴾ قد اشترط اصحاب هذا الفنّ عدَّة شروط لضبطهِ وحُسن وضعهِ. منها ان يتقدَّم على الفاظهِ لفظ « ارّخ » او « ارّخوا » او ما دلَّ على التاريخ : واذا تصرَّف الشاعر في تقديم او تأخير او زيادة بعد لفظة التاريخ اشار اليهِ لئلَّا يستغلق على القارئ. كقول بعضهم في تاريخ بستان :

بحبك تاريخ اتى ضبطهُ « بستان بسط باهرٌ زاهرُ »

فلم يحسب في التاريخ قولهُ « اتى ضبطهُ ». وقال الآخر وقد قدَّم كل كلمات التاريخ على لفظهِ:

فتحنا العراق وذا اللفظُ من رشاقتهِ جاء تاريخهُ

ومن شروطهِ ان لا يكون في بيتين بل في بيت واحد وهو لا يتناول في الغالب سوى عجز البيت او قسماً منهُ. ومنها انَّ الحروف تحسب على صورتها دون مراعاة لفظها فتحسب مثلاً الف « فتى » ياء وتاء التأنيث المنقَّطة تاء وغير المنقَّطة هاء. ولا يحسب المشدَّد الَّا حرفاً والهمزة التي لا كرسيّ لها لا تُحسب شيئاً ويحسبون الف الاطلاق وهلم جرًّا

﴿ خواصُّهُ ﴾ وللتاريخ خواصّ وصفات اهَّلتهُ لأن يُجعل في انواع البديع. وعليهِ فانَّ الذوق السليم يمجُّهُ اذا كان حشواً بلا معنًى او كان متعقِّداً او لم يرتبط بما قبلهُ. واحسنهُ ما كان فيهِ فائدة تاريخيَّة كقول ابن المبلَّط في جلوس السلطان الغازي سليم الثاني سنة ٩٧٤ هـ (١٥٦٦ م)

تولَّى مليك العصر وابنُ مليكهِ بعزّ وتأييدٍ ونصر وسلطانِ
ودولة ملك قلتُ فيها مؤرخاً « سليم تولَّى الملك مد سليمان »

وربَّما دلَّ على صفات المؤرَّخ او بعض احوالهِ كقول بعضهم في آخر ابيات وصف بها تجديد سور عكَّا على يد الشيخ ظاهر العمر

لمَّا بناهُ الشيخ ظاهر عَنْوةً اعناهُ تاريخي « بناهُ ظاهر »

ويستحبُّ فيهِ ان يدل على نكتة ادبيَّة او فكاهة او حكمة. وهو مع ذلك منسجم الألفاظ مؤتلف المعنى خالٍ من كلّ هجنة. وقد مرَّ في المشرق امثال من ذلك نحيل اليها القرَّاء في تراجم الشعراء الياس ادّه وميخائيل البحري ونصرالله الطرابلسي وارسانيوس الفاخوري. امَّا التواريخ التي نظمها سيادة المنسنيور يوسف العلم فهي جامعة كل هذه الخواصّ ويغني تدوينها عن وصفها ونذكرها على حسب زمن تاريخها

تاريخ للطبيب الأثر المطران طوبيا عون مطران بيروت

ماتَ الرحومُ وعونُ الدهرِ وا أسفي فضُمَّ في الرمس ضمَّ الدُّرّ في الصدفِ
من سادَ في الدين والدنيا فاورثنا عين السعادةِ في أعلى ذُرى الشرف
مذ سار للمجد رافائيلُ ارَّخهُ « انا الحقيرُ لطوبيَّا فلم يَخِفِ » ١٨٧١

تاريخ للطبيب الشهير الشيخ شبان الخازن

نفذَ القضاء فيا عشيرةَ خازنٍ صبرًا وفي ايّ الورى لم ينفذِ

شيبانُ ماتَ فأرخوا بوفاتهِ ماتَ المداوي والمداوَى والذي... ١٨٧٢

تاريخ المرحوم فرنقو باشا متصرف لبنان المدفون جسدهُ في مدفنه الخاص في الحازمية من لبنان

يا آلَ لبنانَ قد اودعتكم جسدي والحبُّ يودِع في تَرحالهِ أثرَا
انا فرنقو وباشا كنتُ بينكمُ ومضجعي ههنا يُبقي لكم خبرا
فموتُ مَن سلفوا وعظٌ لمن خلفوا وعبرة تلك سعدًا للذي اعتبرا
تبايَن الناسُ في الدنيا وغايتُها ارّخْ تُسوّي الورى في الرمس طيّ ثرى ١٨٧٣

تاريخ للمرحوم يعقوب ثابت الذي دُفن في مدفن والده يوسف ثابت في عين سعاده

سقاكَ الحيا يا رمسَ يعقوب كلّما بكى العصرُ ذا فضل بهِ كان يفخرُ
بني ثابت لا تندبوا فقد والدٍ بانجالهِ الاخيار ما زال يُنشَرُ
ثوى مع ابيهِ طيَّ رمسٍ حسدتهُ على دُرَرٍ في باطن الارض تُطمرُ
تضمُّهما عينُ السعادة ارّخوا وعهدَ لِقا يعقوبَ يوسف تذكرُ ١٨٨٠

تاريخ للمرحوم ارسانيوس كور الذي كان من القضاة الشهيرين بالعدل

قضى من كان قاضي العدل عمرًا لهُ في كل محكمةٍ شهودُ
توقّد في حشا البترون كورٌ وهبَّ بسائر الاحشا وقودُ
على ارسانيُسَ رَحماتُ ربّي تجودُ فكان للمضنى يجودُ
عدانا تاركًا ذكرًا جميلًا ونجلًا ذكرَ والدهِ يُعيدُ
سألناهُ لحكم الموت فيهِ ردودًا علَّ منها نستفيدُ
على شفة المؤرخ قال ويحٌ قضاء الموت ليس لهُ ردودُ ١٨٨٢

تاريخ كنيسة حيفا التي بناها على اسم القديس لويس الملك سليم وابرهيم نصرالله الخوري

لويسُ في الدين والدنيا مآثرهُ والبرُّ والبحرُ من احكامهِ انتفعا
للذكر من آل نصرالله هيكلهُ هذا سليمٌ وابرهيمُ قد رفعا
في ظل سلطاننا عبد الحميد نرى كلًّا بمعبدهِ لهُ يُقيمُ دُعا
قد صحَّ ما قيل والتاريخ شاهدهُ ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا ١٨٨٩

تاريخ للمرحومة صابات اصفر امرأة ايوب ثابت والدة سليم بك ثابت

بكينا المكرمات على بُكاها كريمةَ اصلها كرمَ الفعالِ
لفجعةِ ثابتٍ شُقّت صخورٌ ولوعةُ اصفرٍ في كل بالِ

وفيها لم يجد أيوب صبرًا ولم يسلم سليمٌ من نصالِ
اليصابات اهداها سلامًا فمُ العذراء جامعة الكمالِ
ولو كلٌّ بذا التاريخ اهلًا لفُضلتِ النساء على الرجالِ ١٨٩٤

تاريخ لكنيسة مار جرجس الكاتدرائية في بيروت

كنيسةَ الحقّ لا تخشَيْ مقاومةً من الجحيم فان الله بانيكِ
وانت بيروت هل فاتتكِ مأثرةٌ من الاماني عهدَ الدبس راعيكِ
بنى سايمانُ للرحمانِ هيكلهُ وحبرنا شادَ هذا في مبانيكِ
في ظل سلطاننا عبد الحميد نرى معاهد الدين تعلو في تعاليكِ
فسبّحي الله مولانا بمقدسهِ
وهل سوى الدين في الاهوال واقيكِ
على فم الحوت اركَخنا شواهدهُ لوذي بجرجس رب الرمح حاميكِ ١٨٩٥

تاريخ لراجي السعد بن فؤاد غندور بك السعد مع الاشارة الى عائلته

غندور عز اراكَ الحظُّ اربعةً من البدور تردُّ الارض افلاكا
في طالع السعد هيَّا الله مطلعهم والسعد رافقَ مسعاهم ومسعاكا
فرّحْ فؤادكَ فيهم فالحبيب يرى من النجيب مراماً مثل مرآكا
تمّت زوايا لبيت شدتَ مرتفعاً تدوم فيهِ مدى الاجيال ذكراكا
بني بنيكَ ترى عيناكَ مبتهجًا واليوم من بكرهم ذا النجل حيّاكا
هبهُ دعاءك والتاريخ راجمهُ يا راجي السعد وفّى الله مبغاكا ١٨٩٥

تاريخ للمرحوم حنا بك الاسعد

يا آل صعب بكيتم فرع اسعدكم شهماً بكى من نواه العرب والعجمُ
شهمٌ للبنان ابقى من تراهتهِ آثار صدق رواها الخصم والحكمُ
كفّوا مناحة مفقود بتربته ما كلُّ ميتٍ طواه الرمس والرممُ
يحيي بتاريخه باقٍ وشاهدهُ السيفُ والخيلُ والقرطاسُ والقلمُ ١٨٩٦

تاريخ لامين بك طربيه وقد مات وهو في مجلس الادارة عضو قضاء البترون

يا آل لبنان قد غالت امينكمُ سود الليالي وفي ذا السجن منطرحُ
من آل طربيه عين كان معتبرًا عينَ الوفاء وكم عينٍ لنا شبحُ

بكى اليتامى بُكا الابنا وأُمهمُ وطالما اذكروا نعماهُ وامتدحوا
رعى الملائك مَن الفاهُ سيدهُ عبدًا امينًا جزاهُ معهمُ الفرحُ
اسفارنا ارّخوها صاح شاهدهُ ان الامين لفي الدارين ممتدحُ ١٩٠٠

تاريخ للمرحوم المتوري جبرائيل البيطار مع الاشارة الى اهله المدفونين في كنيسة مار سمعان بقرية غوسطا

من آل بيطار تساقطَ فارسٌ لا بالوغى لكن باحكام الردى
وبنوهُ سمعانٌ ويوسفُ بعدهُ الياس يواكيمُ منصورُ العدى
واليوم جبرائيلُ سار ويا لهُ عبدًا امينًا كاهنًا متجرّدا
هذه سلالة فرع يعقوب الذي بابيهِ سمعان الشهير تمجّدا
ذاك الذي بكت المكارم فقدهُ وبذكره التاريخ فاه مغرّدا
شُهُبٌ توارَوا في الثرى لكنّما يحييهم ذكرٌ يدورُ مخلّدا
سمعانُ من نجليكَ ربك مالئ ذا البيتَ قل يا ليت مني مشهدا
وكذا جزاء المتّقين لربّهم وهنا نرى خبرًا لذاك المبتدا
يا نخبة الفضل الصحيح وعصبة م الشرف الصريح بني المروءة والندى
قد طالما قمنا حذاء مقامكم وبكاؤنا صعقات موسى جدّدا
ونداؤنا لاقى سميعًا عندهُ اذ رحمة المولى اجابت بالندا
حيّ الرضى تلك الوجوه تلطفًا ما غاب وجه للبدور وما بدا
هذا سلامي ارخوه بآلكم فسلام جبرائيل اغنم موردا ١٩٠٢

تاريخ للمرحوم حنا الدبس المدفون في كنيسة مار مخائيل بيروت

ببيت الله قد احببت سكنى مدى الاجيال لا يومًا وشهرا
تشارك عابدين الله فيهِ عظامي بانتظاري اليوم نشرا
فيا وطني العزيز عليك مني سلامٌ فاحتفظْ لي فيك ذكرا
أمطراني شقيقي دمت سلوى لاولادي واخواني وفخرا
ولمّا كان يوحنّا شفيعي رجوتُ بظلهِ ملجًا وسترا
هي الدنيا وخمرتُها المنايا تدورُ بكأسها والكلُّ سكرى
ألا لا كان تاريخي بدهر امن دبس تذوق اليوم مرًّا ١٩٠٢

تاريخ للمرحوم الخوري بولس العلم الذي خدم رعية كنيسة مار الياس برأس بيروت ٢٥ سنة

يا رأس بيروتَ قد جازت بخدمتكم ... خمسٌ وعشرون من عمري بلا سأم
واليوم امضي ولكن لم يكن اسفي ... أوفى على رمقي منهُ على غنمي
بالله يا بولس المختارُ صُنْ كرَماً ... عبدًا سميكَ والاسماء كالذممِ
ها كُمْ وداعي وذا التاريخ جاء بهِ ... غنّي لهجرانكم نارٌ على العلمِ ١٩٠٢

تاريخ للمرحوم الخوري سمعان العلم الذي وقف املاكه لانشاء مدرسة خيريّة ودفن في كنيسة هذه المدرسة

ألا زُرْ هيكلًا سمعان فيهِ ... توارى كهفَ اخباتٍ ونسكِ
ومن حوليهِ كل الشعب يبكي ... على علَمٍ يُدكُّ وايّ دكِّ
قضى من عمرهِ تسعين عاماً ... بسلك فضائل أكرِمْ بسلكِ
لاجل البر خصَّص مقتنـاه ... وجاد بنفسهِ من دون ضنك
وفي تاريخه ناداهُ ربٌّ ... هلمَّ الان خذ ملكاً بملكِ ١٩٠٣

ومن مدة قريبة زار احدى المقابر ونظم فيها هذه الابيات الآتيـة عسى ان تكون تذكرة لبعض المسيحيين في تذكار موتاهم الذي ميقاته في ٢ ت ٢ من السنة الجارية

قد جزتُ يوماً بالمقابر زائرًا ... فيهـا لحجرة عيلتي المتعفّرهْ
وجثوتُ في ذاك المكان مصلّيًا ... من اجلهم ومدامعي متحدّرهْ
وجلستُ انظرُ في التراب مردّدًا ... حكماً من الفردوس احرزَ مصدرهْ
إنّا ترابٌ والترابُ مصيرُنا ... فبايّ وجهٍ نستحلُّ المفخرهْ
وكذا القصورُ الى القبور مسيرُها ... وعظائم الدنيا هنا مُستحقرهْ
أينَ المعارفُ والمحاسنُ والغنى ... اين المناصب والجيوش مظفرهْ
ذي بقعةٌ تطوي عوالم جمّةً ... لو يرجعونَ تضيق عندهمُ الكرهْ
فاذا عددتَ رمال تربتها ترى ... اعداد موتاها تفوقُ مكرّرهْ
تلكُمْ جسومٌ كالهباء حسبتُها ... لكن سيبعثها النشورُ مغيّرهْ
وقيامةُ الاجسادِ تُظهر قدرها ... وزروعنا مثلٌ لتلك المقدرهْ
قُل تلك اسرارٌ لحكمة خالق ... كي لا تتيه نفوسنا متكبرهْ
اذ كنتُ في هذي الامور مفكّرًا ... والنفسُ من تذكارها متأثرهْ

واذا بصوت من كهوف رموسهم يدوي بصدري والصدا قد كرّرهْ
هيّا ارحمونا يا احبّتنا الألى منّا حظيتم بالكنوز مذخّرهْ
هلّا ذكرتم كيف كنّا عندكم في حق من سبقوا لهذي المقبرهْ
ما حان ان تنسوا وشائج لحمكم ودماؤنا بعروقكم متدبّرهْ
هذي المنازلُ والرياش يزينها هذي الجنائن والرياض المثمرهْ
هذي مكاسبنا ومن اتعابنا هذي لكم منّا كالف مذكّرهْ
كيف انقلبتم عن عهود جدودكم والمرء يعتبرُ العهودَ مطهّرهْ
لو كنتم في ذا العذاب مكاننا أرضيتمُ منّا بأيّة معذرهْ
لا تنكروا هذا المكان وناره
في عُرف مَن عرف الصواب مقرّرهْ
هذا كتاب الله يقضي بيننا وبهِ ترى هذي الفروض مسطّرهْ
هذي معاملة الذين تقدّموا في حق موتاهم لاجل المغفرهْ
من كامل الاعصار تُسمع رحمةُ م ألموتى فيا عجباً لهذه المأثرهْ
لا تبخسونا يا كرام حقوقنا انّ الحقوق لدى الكرام موقّرهْ
ان ترحمونا تُرحموا من غيرنا ولكم لديهِ رحمة متوفّرهْ
اليوم تذكارٌ لموتاكم فلا تنسوا فروضاً للجميع محرّرهْ
جدّوا وجودوا في سبيل نجاتهم من سجن مطهرهم وناره مسعرهْ
هذه نصائح من يؤرخُ آنها يا ربحَ من غنموا النفوس مطهره ١٩٠٣

دفنة

حالتها الحاضرة وآثارها الغابرة

لجناب الشيخ منصور مسعود حبيش

دفنة هي مزرعة حقيرة على مسافة ساعة من شمال شرقي غزير فيها غاب كثيف الاشجار تأوي اليهِ الوحوش في فصل الشتاء بيوتها لا تتجاوز عدد الاصابع وجميع